الحلقة (٣)

عناصر هذه الحلقة :

- أسباب الاختلاف الفقهي
- عرض لأهم المذاهب الإسلامية
- المذهب الحنفي وأصول مذهبه وأمهات كتبهم

أسباب اختلاف العلماء: لقد عصم الله هذه الأمة أن تختلف في أصل عقيدتها وفي مصدر شريعتها كما اختلفت الأمم السابقة وطالما حذر الله من مغبة الفرقة والانحراف والتشتت والتمزق الاختلاف قال تعالى :{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)} وهذا هو السر في وحدة هذه الأمة في عقيدتها وفي مشاعرها أحاسيسها وعواطفها وأعرافها وتقاليدها وعادتها ا رغم اختلاف الأمم والشعوب وتعدد الأوطان وتألب الأعداء وكيدهم ودسائسهم لهذه الأمة من اجل تفريق صفها ووحدتها وحيدها عن الجادة السبيل الحق القويم الذي شرعها الله أم الاختلاف في الفقه فهو اختلاف في الفروع وفي جملته لا يفسد للود قضية وإذا كان اختلاف معتبر مستند على الدليل المستمد من الكتاب والسنة والقواعد المقررة ومقاييس اللغوية المعتبرة التي تقوم على استقراء العلماء الثقات من أبناء هذه الأمة المباركة وهذا ما يشهد له قوله تعالى{ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} أما الخلاف الذي يكثر في كتب الفقه فهو في الفروع أما الخلاف في الأصول فهو غير وارد لأن الله عصم هذه الأمة من أن تختلف في أصل معتقدها، الخلاف في الفروع سائغ وواقع أما الخلاف المردود فهو الخلاف في المعتقد أو الخلاف الذي يقوم على الهوى والتعصب الأعمى من غير بينة ولا حجة ولا برهان يريدون بذلك تمزيق وحدة هذه الأمة وتفريق هذا الدين ليكون شيع وأحزاب فهذا الخلاف هو الخلاف المذموم الذي يرفضه الإسلام والذي تصدى له علماء المسلمين قديما وحديثا، لان أمثال هؤلاء أرادوا أن ينشروا الفوضى الدينية والعلمية وهيهات أن يجتمع الحق والباطل في قول واحد و أن تستوي الأنوار والظلم وصدق الله عندما قال { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢) } وهذا أن كان الناس في عهد النبي يرجعون إليه عند التنازع كما سبق أن أسلفنا في التحدث عن أطوار الفقه فيحكم بينهم ويبين لهم الحق سوء فيما يختلفون إليه من أحكام الله أو فيما يختلفون إليه من أحكام الله التي لم ينزل حكمها ثم بعد ذلك ينزل القران مبين لها فما أكثر ما نقرا في القران يسألونك عن كذا فيجيب الله نبيه بالجواب الشافي يقول الله تعالى:

{ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ } وقوله : {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ } **وأيضا** { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ } إلى غير ذلك من الآيات، ولكن بعد

وفاة الرسول اختلفت الأمة في أحكام الشريعة التي لا تقضي على أصول الشريعة ومصادرها ولكن اختلاف في الفروع، وانه لا يوجد أحد من ذوي العلم الموثوق في علمه وأمانته ودينه يخالف ما دال عليه كتاب الله وسنة رسوله عن عمد وقصد وحاشا أن يخالف عالم موثوق في علمه وأمانته ودينه كتاب الله وسنة رسوله عن عمد وقصد لأن من اتصف بالعلم والديانة لابد أن يكون رائدهم الحق ومن رائده الحق فان الله سيسره له كما قال تعالى{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ } **وقوله** {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) }ولكن مثل هؤلاء الأئمة يمكن منهم الخطأ ليسوا معصومين فهم بشر قد يحصل الخطاء ولكن في الفروع والأحكام العملية وهو من ديدن البشر ولكن لا يحصل الاختلاف في الأصول و هذا الخطأ أمر لابد أن يكون لأن الإنسان كما وصفه الله تعالى { وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا } فهو ضعيف في إدراكه وعلمه وأحاطته وشموله ولذلك لابد أن يقع الخطأ في بعض الأمور ومن ثم أجمل الأسباب التي يرجع إليه الخلاف بين الفقهاء هي كثيرة جدا و فصل ذلك في كتب كثيرة منها كتاب رفع الملام عن الأئمة الإعلام لابن تيمية.

۞ من أبرز أسباب اختلاف العلماء :

١/أن يكون الدليل لم يبلغ هذا المخالف الذي أخطأ في حكمه أو بلغه بطريق لا يطمئن إليه.

٢/أو بلغه ونسيه وجل من لا ينسى.

٣/أو بلغه ولكن فهم منه خلاف المراد.

٤/أن يكون بلغه الحديث لكن هذا الحديث كان منسوخاً ولم يبلغه ناسخه.

٥/و أن يعتقد أنه معارض بما هو أقوي منه بنص أو إجماع.

٦/أن يأخذ بحديث ضعيف أو استدلال ضعيف وهذا كثير جدا.

بعد هذا نتحدث عن عرض لأهم المذاهب الإسلامية لنختم به هذه المقدمة أقول قبل أن أتحدث عن أئمة المذاهب الحديث عن الأئمة الأربعة حديث عن السلف الصالح إذ أن الأئمة الأربعة من أعلام السلف الصالح أصحاب القرون المفضلة الذين مدحهم رسول الله بأنهم من أئمة هذه القرون الذين بعد فضل الله حفظوا لنا هذا الدين وجدوا واجتهدوا واثروا الفقه الإسلامي حتى أصبح الذين جاءوا بعد هؤلاء الأئمة عالة عليهم في الفقه بخاصة ومن بحر علومهم ينهلون والمقطوع به أن الأئمة الأربعة كانوا قمم في العلم والزهادة والورع والخلق والحديث عنهم يطول لكثرة فضائلهم ومن أراد المزيد فليرجع إلى الكتب التي تحدثت عنهم

المقصود بالتعريف بهم الاقتداء بهم وان يسلكوا طريقهم في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والعض عليها بالنواجذ ففيهما فلاح هذه الأمة وعزها قال عيه الصلاة والسلام (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهم كتاب الله وسنتي إلى أخر الحديث

➢ الأئمة في المذاهب الأربعة:

الوقت الذي ظهر فيه هؤلاء الأئمة الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد) هو وقت ازدهار الفقه وانتشاره وكثرة طالبيه **وكانت بدايته من سنة ١١٩ وانتهى بوفاة الإمام أحمد سنة ٢٤١ هـ**

❁ **أبو حنيفة :** هو إمام المذهب الحنفي النعمان بن ثابت بن زوطي من أصل فارسي ولد بالكوفة سنة ٨٠ وبها نشأ وتعلم وكان في صباه يبيع الخز (والخز من الثياب ينسج من صوف وإدريس) ويطلب العلم ثم انقطع إلى طلب العلم والتدريس وتوفي في بغداد سنة ١٥٠ من الهجرة وعاصر أوج الدولتين الأموية والعباسية، وهو من أتباع التابعين وقيل من التابعين لقي أنس بن مالك [1] وروى عنه حديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم) اخذ علمه بالحديث والفقه عن أكثر أعيان العلماء تفقه لمدة ١٨ عام بصفة خاصة عن حماد بن سليمان الذي اخذ الفقه عن إبراهيم النخعي فهو يقول عن شيخه حماد "ما صليت منذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي واني لأستغفر لمن تعلمت منه علما أو علمته علما" هكذا يكون وفاء العلماء لأساتذتهم وهكذا وفاء السلف لائمتهم وعلمائهم فحري وجدير بنا أن نكون كذلك

مكانته العلمية:

فهو إمام أهل الرأي وفقيه أهل العراق يقول عنه الشافعي الناس عالة في الفقه على أبي حنيفة، ويقول ابن مبارك ما رأيت في الفقه مثل أبو حنيفة وما رأيت أورع منه، ويقول مكي اعلم أهل زمانه وغير ذلك من الأقوال التي وردت عن سلف هذه الأئمة الصالح عن هذا الإمام الجليل رحمه الله

بعض أقوال أبي حنيفة:

***" من لم يمنعه العلم عن محارم الله تعالى ولم يحجزه عن معاصي الله فهو من الخاسرين "**

*** "من تكلم في شيء من العلم وهو يظن أن الله لا يسأله عنه كيف أفتيت في دين الله فقد سهلت عليه نفسه ودينه"**

***إذا صح الحديث فهو مذهبي**

***ويقول : "من تعلم العلم للدنيا حرم بركته ولم ينتفع به كثير أحد ومن تعلمه للدين بورك في علمه ورسخ في قلبه وانتفع المقتبسون منه بعلمه "**

توفي في بغداد سنة ١٥٠ هـ وهو أول من الأئمة الأربعة من أهل السنة والجماعة وعرف بكثرة اجتهاده وأخذه بالقياس وكان يعد من أذكياء الناس كما قال ابن خلدون : **" لم يبقَ إلا مذهب أهل الرأي في العراق وأهل الحديث في الحجاز فأما أهل العراق فإمامهم الذي استقرت عنده مذاهبهم فهو أبو حنيفة فمقامه في الفقه لا يلحق شهد له بذلك أهل جلدته ومالك والشافعي وقال الشافعي الناس**

---

[1] (قال الأستاذ التميمي في منتديات النقاش هذا هو الصحيح لأن ذلك سبق لسان من الشيخ)

عيالٌ في الفقه على أبي حنيفة "

أما شيوخه: تتلمذ على حماد بن أبي سليمان الذي تتلمذ على إبراهيم النخعي الذي تتلمذ على علقمة الذي تتلمذ على عبدالله بن مسعود،

أما أشهر تلامذة أبو يوسف ومحمد بن حسن الشيباني وزفر بن الهذيل

أصول مذهبه:

الكتاب، التشدد في قبول السنة خوفاً من الكذب على الرسول نظرا عن بعده عن الحجاز الأخذ على ما اجمع عليه الصحابة فإذا اختلفوا يتخير من أقوالهم ولا يخرج عنهم أما التابعين فلم يكن يأخذ منهم وكان يقول نحن رجال وهم رجال أيضاً التوسع بالقياس وضرب المسائل وأخذه بالاستحسان الذي هو القياس الخفي واخذ بالحيل الشرعية ويسمونه المخارج من المضايق

➢ **أمهات كتب الحنفية:**

١/ المبسوط للسرخسي المتوفى سنة ٤٩٠

٢/بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني المتوفي ٥٧٨

٣/فتح القدير للكمال بن الهمام

٤/الاختيار في تعليم المختار للموصولي المتوفي سنة ٦٨٣

٥/الهداية للمرغناني المتوفى سنة ٥٩٣ وعليها يدور عليه فقه الحنيفية

٦/البناية على الهداية لإمام العيني المتوفى سنة ٨٥٥ ويسمى هداية الساري

٧/حاشية ابن عابدين المسمى رد المحتار على الدر المختار مؤلفه ابن عابدين المتوفى ١٢٥٢ وغيرها كثير

➜ **المراد ببعض المصطلحات عند الحنفية:**

١ /**ظاهر الرواية**: المقصود به قول مشايخ المذهب الثلاثة أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني أي ما توصل إليه الثلاثة.

٢/**الإمام**: أي الإمام أبو حنيفة

٣/**الشيخان**: أبو حنيفة وأبو يوسف

٤/**الصاحبان**: أبو يوسف ومحمد

٥/**الطرفان**: أبو حنيفة ومحمد

٦/**الثاني**:أبو يوسف

٧/**الثالث**: محمد بن الحسن الشيباني

٨/**إذا ورد لفظ** "له" أي لأبي حنيفة

٩/**ولفظ** "لهما" أو عندهما أو مذهبهما: أي الصاحبين

١٠/**إذا قالوا أصحابنا**:المراد بهم الأئمة الثلاثة أبي حنيفة وصاحبيه

١١/وأما المشايخ: فهم من لم يدرك الإمام

١٢/مصطلح "المتون" أي متون الحنفية المعتبرة عندهم مثل (المعتبر) و (مختصر القدوري) و (البداية) و (المختار) و (الوقاية) و (الكنز) و (الملتقى) فإنها وضعت لنقل ظاهر الرواية والأقوال المعتمدة، وتعتبر حاشية ابن عابدين المتوفى ١٢٥٢هعلامة الشام "رد المحتار على الدر المختار" خاتمة تحقيقات وترجيحات المذهب الحنفي رحمهم الله رحمة واسعة.